

## الطفل "المتفوق ذهنيا"، أي بيذاغوجيا لأي مدرسة ؟

د. بلمختار محمد رضا

جامعة البليدة 2

### ملخص

يرتبط موضوع الأطفال "المتفوقين ذهنيا" بموضوع أشمل يندرج ضمن المورد البشري للمجتمع أو ما يعرف با "الثروة الباقية".

مناقشة هذا الموضوع لا يزال في المجتمعات النامية في بادرة الطريق رغم حاجات هذه المجتمعات الماسة إلى الطاقات النوعية التي تلجئوا إلى استيرادها من الخارج بالعملة الصعبة الأمر الذي يساهم في إثقال ميزان المدفوعات الوطني لهذه المجتمعات وسحب في دوامة التبعية للخارج.

فما هو السبب في هذا التأخر؟ أم أن تنافس الدول التكنولوجية اليوم كاليابان والصين والولايات المتحدة، روسيا، تركيا والهند والكريتين في هذا المجال يوحي بأنها أدركت رهان الحاضر والمستقبل من زاوية أخرى لم تلمسها المجتمعات النامية بعد؟ ماذا عن حق الجميع في التعليم والصحة والحياة الكريمة التي تنص عليها المواثيق الوطنية والدولية؟ أم أن الأولوية لا زالت محصورة في علاج الأعراض قصد الحفاظ على التوازنات الإقليمية و الدولية كما يفرضه التقسيم العالمي للعمل؟ ما هي الدراسات الجامعية والمنشورات العلمية التي تتناول موضوع المتفوقين في مجتمعاتنا؟ أم أن متقفينا تحت مفعول مسكن يجعلهم لا يرون ذلك في وقت يزداد فيه دور الفرد وقدراته على خلق الفارق الحضاري كما نلحظه في الميادين المختلفة كالرياضة والتنسيير والدبلوماسية وغيرها؟ أم أن المقاربات البنائية المتبعة تضي على التاريخ المعاصر معان خاصة؟

### Résumé:

L'intérêt que nous portons au thème des enfants « intellectuellement précoce » reflète une dynamique sociale, qui d'un point de vu compensatoire, égalitariste, quantitative, tente, tant bien que mal, de dépasser les résidus d'un discours idéologique en perte de contenu vers une approche accommodée qui d'un coté reconnaît les

différences, et d'une autre vise une maximisation des potentiels individuelles, a partir d'une pédagogie constructiviste différentielle et qualitative.

Le guide national d'orientation pédagogique (2008), souligne dans ce sens : « la nécessité d'adopter des démarches d'enseignement s fondées d'une part, sur la différenciation des processus d'apprentissage, et d'autre part, sur la différenciation des processus d'enseignement, et offre plus de chances aux élèves de progresser et d'explorer au maximum les possibilités de chacun.

### مقدمة:

ينطلق بحثنا من السؤال عن المظاهر الاجتماعية الدالة في مجتمعنا عن الوعي الاجتماعي بفئة "المتفوقين ذهنيا" أو ليكون الإشكال أكثر شمولية، السؤال عن دلالة ذلك بالنسبة لما يفقده المجتمع جراء إتلافه لهذه الثروة البشرية بسبب عجز المنظومة التربوية عن تعريفها وتحديد حاجاتها وطرق رعايتها؟

ليس من الغريب في ذات المنطق الاجتماعي أن نسجل غياب الدراسات الأكاديمية والمنشورات العلمية التي تتناول بالبحث والتحليل موضوع الأطفال "المتفوقين ذهنيا"، ولا تنظيمات مدنية تعني بالقضايا المتعلقة بهذه الفئة من المجتمع، ولا تشريع المدرسي يعطيها وجودا رسميا، من خلال تعريف واضح لها ولأساليب التعامل معها، ما يجعل مكانة هذه الفئة تظل غامضة ومسؤولية المجتمع في تلبية الحاجات والمطالب المتصلة بها غير محددة.

ليس الأمر كذلك في الدول التكنولوجية مثل كندا وبريطانيا واليابان وألمانيا والولايات المتحدة الأمريكية، وروسيا والتي تولي اهتماما نوعيا بهذه الفئة من المجتمع، ليس فقط من حيث ما يكتب وينشر عنها ولا من حيث نسبة التنظيمات المدنية وتنوعها التي تهتم بقضاياها، ولكن من حيث ما تقدمه منظوماتها التربوية في حد ذاتها من مناهج تعليمية مكيفة ودورات تكوينية متخصصة للأساتذة تعرض فيها الحاجات المطلوبة والحلول الممكنة وتناقش

الصعوبات النفسية والاجتماعية التي يلاقيها الأطفال "المتفوقين ذهنيا" بسبب ما يتمتعون به من خصوصيات.

كذلك هو الشأن في الصين والهند وكوريا الجنوبية وتركيا وإيران وغيرها من الدول النامية على المستوى الدولي والتي تعمل جاهدة على ترقية وترشيد استغلالها للثروة البشرية المتاحة لديها من أجل فرض وجودها في ميادين التنافس الدولي. ليس ذلك إلا دلالة على وعي هذه المجتمعات بالمسؤولية الواقعة على عاتق مؤسساتها فيما يخص مستقبل أبنائها لاسيما ذوي الإمكانات المتميزة وعلى وجه خاص حين تتعرض للعجز عن وقايتها من اللا توافق والانطفاء والتسرب وعدم الاندماج الاجتماعي.

### 1- ماذا عن المدرسة الجزائرية؟

بالنسبة للمدرسة الجزائرية يمكن ملاحظة عدم الانسجام بين الممارسات التربوية المعمول بها وسيكولوجية الطفل "المتفوق ذهنيا"، فهو يتميز بقدرات تجعله يميل إلى الفهم قبل الحفظ وإلى الاستيعاب السريع دون حاجة إلى أن يبذل المعلم الجهد أو التكرار المستمر وإلى الفضول والاهتمام العفوي قبل المحاكاة والامتثال السلبي وهو لأجل ذلك تصعب عليه الاستجابة الآلية، وحتى في أسلوب الفهم فهو غالبا ما لا يتبع أسلوب المعلم و منهاج المدرسة.

ولكن المعلمون غالبا ما يرفضون، وجهات النظر وطرق الفهم والبرهان المغايرة لتلك التي يفرضها برنامج الوزارة، ويقدمون مبررات إدارية لذلك لاسيما ما يتصل بمراقبة المفتش أو توجيهات مدير التربية، الأمر الذي يجعلهم يفضلون إبعاد التلاميذ "المتفوقون ذهنيا" عن أقسامهم، تقاديا للجدل والوضعيات الحرجة سواء مع الأولياء أو مع باقي التلاميذ. هنا تبدأ عملية الإقصاء وما يترتب عنها من قلق عند الطفل الذي لا يفهم لماذا يحدث له ذلك وهو الايجابي المزاج فينطوي على ذاته ويستسلم لضغط المؤسسة التربوية.

وبالرغم من أن الإصلاح التربوي في الجزائر الساري المفعول منذ 2004 يتناول مفاهيم وطرق البيداغوجية الفارقة ويشير إلى ضرورة الاهتمام بالتلاميذ من حيث قدراتهم المعرفية والعقلية المتباينة ويلح على ضرورة مراعاة أوضاعهم النفسية وظروفهم الاجتماعية وتوظيف البيداغوجيات المناسبة لذلك، إلا أنه في واقع الأمر وإلى يومنا لا يزال ذلك مجرد طموح، ليس فقط من حيث ما يمكن ملاحظته ميدانيا في الأقسام وما يتعلق بنوعية تكوين و"ملح" الإطار التربوي.

وأما البيداغوجية الخاصة التي يشير إليها التشريع المدرسي الجزائري فليست سوى الأساليب النفسية التربوية الموجهة للتلاميذ الذين يظهرون صعوبات في التعلم أو ذوي الاحتياجات الخاصة الذين يصنفون في منحنى "جوس" ضمن الاتجاه السلبي في الفئة الأقل من 13 % حيث هم لا يقدرّون، بسبب عاهة ما، مسانيرة التعليم في الأقسام العادية.

وهي بيداغوجية تقصد استدراك النقص لتحقيق مبدأ الحق في التعليم لكل طفل، وتوظف لأجل ذلك كفاءات متخصصة وأطر نفسية تربوية مكيفة بأجهزة نوعية تتناسب مع احتياجات الأطفال النوعية.

بينما يظل الصمت سائدا فيما يخص الفئة الأخرى من الأطفال التي تقع في الاتجاه الإيجابي من المنحنى فوق 13%، وهي وإن كانت لديها احتياجات نفسية واجتماعية متميزة فهي لا تعاني من عاهة أو تخلف عقلي بقدر ما تعاني من سوء فهم الوسط الاجتماعي والتربوي لها.

هذا اللاوعي يمكن ملاحظته أيضا وعلى مستوى أشمل في غياب العناية بهذه الفئة الاجتماعية من خلال التصنيف المتبع للفئات الديموغرافية في الدورية التي ينشرها الديوان الوطني للإحصائيات "ONS"، حيث يتم توزيع الأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة في الجزائر حسب نوع الإعاقة: حركية، بصرية، سمعية، عقلية، متعددة، أخرى غير محددة.

ويعرف الأخصائيون الطفل ذو الاحتياجات الخاصة بأنه الفرد الذي يحتاج طوال حياته أو خلال فترة من حياته إلى خدمات خاصة كي ينمو أو يتعلم أو يتدرب أو يتوافق مع متطلبات حياته اليومية، أو الأسرية أو الوظيفية أو المهنية، ويمكنه بذلك أن يشارك في عملية التنمية الاجتماعية والاقتصادية بقدر ما يستطيع (احمد عفت قرشم، <http://www.madinahnet.com>).

وهو ينتمي إلى فئة أو أكثر من الفئات التالية:

-التفوق العقلي والموهبة الإبداعية -الإعاقة البصرية بمستوياتها المختلفة - الإعاقة الذهنية بمستوياتها المختلفة- الإعاقة السمعية- الكلامية واللغوية بمستوياتها المختلفة -التأخر الدراسي وبطء التعلم -الإعاقات البدنية والصحية الخاصة - صعوبات التعلم- الاضطرابات السلوكية والانفعالية.

فهل الطفل ذو الإمكانيات العقلية أو المتفوق ذهنيا معاق يعاني من صعوبات حركية أو عقلية أو نفسية أو اجتماعية؟ وهل يستوجب عمليات تأهيلية خاصة؟ أم أن لأساليب التربية غير

ملائمة وسوء فهم المحيط الاجتماعي له هو الذي يخلق لديه تلك الاضطرابات؟ وأن ذلك يتطلب مرافقة مستمرة ومساعدة على التوافق النفسي والاجتماعي لان ما يحتاج إليه هؤلاء الأطفال هو تدخل تربوي من شأنه إثراء قدراتهم وتنميتها، ومرافقتهم للوصول إلى تحقيق أقصى حد ممكن مما تسمح به طاقاتهم وقدراتهم مع مراعاة توازن الأبعاد الأخرى من شخصيتهم؟.

يعني هذا أن احتياجاتهم الخاصة ليست بالضرورة رعاية الاضطراب والمساعدة على التعلم بل تكمن في تقبلهم كأشخاص متميزين لديهم إمكانيات فوق عادية تتطلب تعليم ملائم يستجيب لقدراتهم وينميها بدلا من إحباطها وإطفائها بسبب إلغائهم.

لماذا إذن نجد اليوم المراكز الموجهة لذوي الاحتياجات الخاصة لا تعنى بهذه الفئة من الأطفال؟

لماذا لم تبدي الهيئات التربوية إلى يومنا اهتماما فعلي بهذه الفئة الاجتماعية، لماذا لم تفتح أقسام مخصصة لهم أو مراكز للجودة والامتياز، رغم توصيات المؤتمر الدولي المنعقد في الجزائر مؤخرا بخصوص هذا الموضوع فلم تتحول إلى إجراءات عملية إلى يومنا هذا.

## 2-المصطلح و المفهوم؟

جاء في لسان العرب لابن منظور(محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري جمال الدين أبو الفضل، 2011): "أن المقصود بالذهن هو الفطنة، يقال مثلا رجل ذهن بمعنى فطن وقوي العقل، وصيغة جمعه أذهان. تقول: اجعل ذهناك إلى كذا وكذا.

ذَهْنٌ وَذَهْنٌ كِلَاهُمَا عَلَى النَّسَبِ، وَكَأَنَّ ذَهْنًا مُغَيَّرٌ مِنْ ذَهْنٍ وَفِي النَّوَادِر: دَهْنَتْ كَذَا وَكَذَا ، أَي: فَهَمْتُهُ. وَدَهَنْتُ عَنْ كَذَا: فَهَمْتُ عَنْهُ. وَيُقَالُ: ذَهَنْتِي عَنْ كَذَا وَأَذَهَنْتِي وَأَسْتَدَهَنْتِي ، أَي: أَنْسَانِي وَالْهَانِي عَنِ الذِّكْرِ. الْجَوْهَرِيُّ: الذَّهْنُ مِثْلُ الذَّهْنِ، وَهُوَ الْفِطْنَةُ وَالْحِفْظُ. وَقَلَانٌ يُذَاهِنُ النَّاسَ ، أَي: يُفَاطِنُهُمْ. وَذَاهَنْتِي فَذَهَنْتُهُ، أَي: كُنْتُ أَجْرَدَ مِنْهُ ذَهْنًا. وَالذَّهْنُ أَيضًا: الْقُوَّةُ، قَالَ أَوْسُ بْنُ حَجْرٍ: أَلُوْءُ بَرَجَلٍ بِهَا ذَهْنُهَا وَأَعْيَيْتُ بِهَا أَحْثَهَا الْعَابِرَةَ؛ وَالْعَابِرَةُ هُنَا: الْبَاقِيَةُ".

وأما التفوق الذهني فالمقصود به كمفهوم إجرائي، هو تلك القدرة المتميزة التي يحضها بها الشخص في مجال محدد أو في عدة مجالات مقارنة بأترابه(قاموس مصطلحات الطفولة والشباب www.mawared.org,arclb@mawared.org).

ويعرفه فتحي عبد الرحمان جروان بأنه: "القدرة الفطرية أو الاستعداد في مجال واحد أو أكثر من مجالات القدرة العقلية والإبداعية والاجتماعية والانفعالية والفنية، وهو أشبه بمادة خام تحتاج إلى اكتشاف وصقل حتى يمكن أن تبلغ أقصى مدى لها." (جروان فتحي عبد الرحمان، 2002، ص392).

والمتفوق ذهنيا هو، النابغ في المجالات المعرفية وغيرها، كما يقصد به التفوق في التحصيل الدراسي بجانب التفوق في المجالات الأخرى(التويزري محمد بن عبد المحسن، منصور عبد المجيد سيد أحمد، ص 65).

وهو على حد ما يراه أحمد محمد الزغبي: استعداد يوجد عند الفرد يجعله قادرا على إنتاج أداء متميز عن أقرانه في المجالات العقلية والمعرفية، بحيث ينعكس بآثاره الايجابية على حياة الناس وأنشطتهم المختلفة على أن تتوفر له الظروف البيئية الأسرية والمدرسية المناسبة" (الزغبي احمد محمد، ص 57).

يتألف "التفوق الذهني" من تفاعل ثلاث مجموعات من السمات الإنسانية هي:

1- قدرات عامة فوق المتوسط.

2- مستويات عالية من الدافعية.

3-مستويات عالية من الإبداع.

يتفق الباحثون على أن **المتفوق ذهنيا** هو من يظهر سلوكا في المجالات العقلية والمعرفية يفوق بكثير أقرانه الآخرين مما يستدعي تدخلا تربويا كفاً لإثراء هذه القدرات وتنميتها، والوصول به في النهاية إلى تحقيق أقصى حد ممكن إلى ما تسمح به طاقاته وقدراته (الزغبي احمد محمد، ص 57).

أما "جانبيه" فقد أشار بشكل أكثر تفصيلا إلى أن التفوق يقابله الأداء من مستوى فوق

المتوسط، يحتاج إلى بيئة ملائمة لينبتق وينمو وهو يشاهد على ارض الواقع(جروان فتحي

عبد الرحمان، ص 64) .

وتؤكد الأخصائية "لورنس فيفر دوري" (Laurence Vaivre-Douret, 2003, p33-35) على ضرورة التمييز بين الطفل "المتفوق ذهنيا" والطفل المتفوق مدرسيا حيث أن هذا الأخير يصل إلى ذلك بسبب الجهد والتحفيز المستمر، بينما الأول لا يبذل مجهود لذلك ويضل تفوقه يتميز بالسهولة والمتعة بينما الآخر سرعان ما يشعر بالإرهاق والتعب ما يجعله يجنح إلى التراجع.

نستخلص من خلال ما تقدم فكرة مفادها أن "التفوق الذهني" ينطوي على مميزات فردية قد ينميها المحيط الاجتماعي أو يكتبها ويكبحها.

هذا ويعتبر تعريف مكتب التربية الأمريكي الأكثر قبولا في أوساط الباحثين والذي ينص على أن الأطفال "المتفوقين ذهنيا" هم أولئك الأطفال الذي يتم تحديدهم والتعرف عليهم من قبل أشخاص مهنيون مؤهلون، وهم الأطفال الذين لديهم قدرات متميزة والقادرين على القيام بأداء عالي، ما يجعلهم في حاجة إلى برامج بيداغوجية مختلفة وخدمات إضافية إلى البرامج التربوية العادية التي تقدم لهم في المدرسة .

-كذلك يعرف " رينزولي " الطفل المتفوق ذهنيا بأنه ذلك الفرد الذي يظهر قدرة عقلية عالية على الإبداع.(Renzulli, J.S..1994).

ما يمكن قوله هو أن هذه التسمية حديثة الاستخدام في المصطلح العلمي تعود إلى ما بعد الحرب العالمية الثانية، عام 1946 مع الدكتور السويسري "جوليان دي اجورياجيرا" ( Julian de Ajuriaguerra ) الذي قصد بها فئة من الأطفال تتميز بما يلي: " يطلق لفظ المتفوق ذهنيا على الطفل الذي يمتلك قدرات تتجاوز بشكل صريح معدل قدرات الأطفال الذين هم في سنه" ( , Julian de Ajuriaguerra, Paris, Masson, 1959 ).

وقد تطلق صفة صاحب "الإمكانات العالية" حسب تخصص واهتمامات من يستخدمه التي تجعله يركز على جوانب أخرى، كالجمعيات التربوية أو جمعيات أولياء التلاميذ أو الجمعيات النفسية المتخصصة... الخ.

أما المؤتمر الأمريكي المنعقد في 1981 فعرف "المتفوق ذهنيا" على أنه: "كل طفل يبدي على مستوى الروضة، الابتدائي، المتوسط والثانوي قدرات على بلوغ كفاءات في المجالات

الفكرية، الفنية، الأكاديمية المتخصصة، الفنون البصرية، المسرح، الموسيقى، الرقص، القيادة وهذا يستلزم الحاجة إلى خدمات ونشاطات لا تتوفر عليها المدرسة الجزائرية اليوم.

كما يوجد على مستوى الرأي العام خلط في دلالة الألفاظ المستخدمة لوصف هؤلاء الأطفال المتميزون: عبقرى, موهوب, ذكى, متفوق, خارق... الخ.

أما التشريع الجزائري فيشير إلى ذوي الاحتياجات الخاصة، ولا يخص بالذكر الأطفال المتفوقين ذهنيا كفئة متميزة لديها احتياجات نوعية وهو الوضع الذي ترتب عنه عدم إدراجهم في البرامج البيداغوجية ولا مرافقتهم وفق سيكولوجية نوعية تقيهم من الانطفاء قبل أن يفوت الأوان ويتحول هؤلاء الأطفال إلى عاجزين على التوافق الاجتماعي ويصبحون في حاجة إلى رعاية خاصة في مؤسسات تربوية من نوع آخر وتحت إشراف إطارات التربية الخاصة، الذين يحاولون مساعدتهم على مواصلة التعليم العادي بدلا من العمل على تنمية قدراتهم و تطويرها.

يمكن ملاحظة هذه المفارقة التربوية أيضا من خلال تصورات المعلمين الذين يعتبرون الطفل "المتفوق ذهنيا" هو ذلك الطفل النابغ والذي يتميز بقدرات فكرية عالية، وهو تصور مركزي تنتجه المدرسة من خلال فاعليها والذي يعبر عن رفضها تحمل مسؤولية إتلاف المواهب الناشئة نتيجة عجزها على تأطيرهم السيكوبيداغوجي، والذي يعبر كذلك على نظرتها المركزية لذاتها كمرجع وحيد تحتكر الحق في تحديد ما هو سوي وغير سوي ومن هو المتفوق ومن هو المضطرب والمقصى من مقاعدها.

وهي مؤسسة تتعامل مع التلميذ ككثبات من المهارات وليس كشخصية متعددة الأبعاد يؤثر الواحد منها على الآخرين، ما يجعل تقييم للطفل بالإيجاب يكون لما يستجيب وفقا لما تنتظره منه وأما إذا خرج عن الأنموذج أو القالب المحدد فيتم إقصاءه ( Julian de Ajuriaguerra, 1959).

يمكن الملاحظة أيضا أن الطفل "المتفوق ذهنيا" ليس بالضرورة يكون ترتيبه الأول في القسم بل يمكن في كثير من الحالات أن يلحق به زملائه في الأقسام التالية ليصبح تلميذ متوسط المستوى مثلهم أو في بعض الأحيان دون ذلك.

يقول "يونغ" في هذا الصدد: " المشكل الذي يطرحه الطفل "المتفوق ذهنيا" معقد، فهو لا يظهر مواهبه في كونه تلميذ ممتاز بل يمكن له في حالات أن لا يكون كذلك (... ) إذا نظرنا

إليه من الخارج يصعب علينا تمييزه عن ضعاف العقول" ( SI MOUSSIA ET COLL, 2002).

كما أن الاختلاف بين الطفل "المتفوق ذهنياً" وغيره ذا طابع نوعي أكثر منه كمي، وبالتالي وصفه بأنه ذلك الذي يتميز بقدرات فكرية عالية هو تعريف يقترب من الواقع، لأنه يعني بأن هذه القدرة الكامنة فيه لا يمكنها البروز إذا لم يؤهله الوسط الاجتماعي لبلورتها وتطويرها ( الأسرة، المدرسة).

كما أن اختبارات الذكاء ( QI ) المتداولة عالمياً لاكتشاف هؤلاء الأطفال ليست كافية وحدها لتحديد هوية "الطفل المتفوق ذهنياً" لأنها حسب الخبراء ( Carl Gustav Jung, 1995, p. 247 ) لا تكشف إلا على بعض أشكال التفوق دون الأخرى حيث نجدها مثلاً لا تحدد بشكل دقيق المسافة بين الطفل الذي لديه تفوق مدرسي عادي و الطفل الذي لديه تفوق مبكر. وبينما نجد بعض الأخصائيين يتكلمون عن القيمة 125 كحد لذلك، يشير البعض إلى 130 والبعض الآخر إلى 150 كحد أدنى ليكون الطفل مختلفاً بشكل واضح. ناهيك عن مدى تلاؤم هذا المقياس مع الخصوصيات الاجتماعية-الثقافية للطفل الجزائري.

ويتفق الخبراء على أن القياسات وحدها ليست كافية بل تحتاج إلى إجراء فحوصات إكلينيكية أشمل لكشف الصعوبات التي يمكن أن يطرحها الطفل، ما جعل بعض الباحثين يتكلمون عن "إمكانات عالية للاستنتاج المنطقي الغير المعرفي" والتي يتم حسابها باستخدام اختبار العواطف.

وإطلاق صفة "الإمكانات العالية" لتمييز الأطفال "المتفوقين ذهنياً" لا تختصر المعنى بالنسبة لما هو موجود في الواقع لأنها تتضمن فكرة أن هذه الإمكانات المتميزة لا تتجسد بالضرورة من خلال إنجازات خارقة كما لا تنفي وجود صعوبات بل وفي بعض الحالات وجود فشل مدرسي أو مهني أو اجتماعي.

يعني هذا أن صفة "الإمكانات العالية" تضيف فكرة الكون والوسط حيث يمكن للطفل أن يمتلك قدرات ذهنية عالية ولكنه لا يستطيع توظيفها ولا تنميتها لتبرز وتتفجر إلا إذا ساعده المحيط على ذلك.

ويمكن على المستوى المدرسي توزيع التلاميذ على ثلاثة مجموعات:

-التلاميذ المتفوقين.

-التلاميذ المتوسطين.

-التلاميذ الضعاف.

نجد مثلا، بعض "المتفوقين ذهنيا" يصلون إلى التخصصات التي ينسجمون معها بينما يتراجع البعض الآخر بشكل مفاجئ في إحدى مراحل المسار المدرسي، لأسباب تتجاوزهم وترتبط مباشر بالمؤسسة التربوية ( المدرسة والأسرة والإعلام).

هذا وقد سمحت الدراسات العلمية اليوم بتجاوز الفكرة التي كانت سائدة في السابق المتمثلة في أن الطفل "المتفوق ذهنيا" هو كذلك في جميع الميادين، وأنه ذكائه الخارق يجعله مطلق التفوق (Monique Binda, 2013, P 275).

بمعنى أن القدرات العالية بإمكانها أن تعبر على نفسها بأشكال عدة وفي مجالات مختلفة أو أن تكون مستقلة عن بعضها البعض على حد قول "غردنر"، هذه المجالات هي : الذكاء اللغوي واللفظي، الذكاء الرياضي المنطقي، الذكاء الفضائي أو التصوري، الذكاء التناغمي، الذكاء الجسدي أو الحركي، الذكاء الاجتماعي، الذكاء النفسي الداخلي.

أن معظم الناس يمتلكون على سبيل الإجمال كل هذه القدرات ولكن بنسب متفاوتة وهناك أفرادا لديهم تميّز واضح في واحد منها أو أكثر.

ولا يوجد عند نفس الشخص تفوق متجانس ولا ذكاء متعدد، وحتى وإن سمح مستوى الذكاء العالي لصاحبه بأن يجد، أفضل الحلول للمشاكل التي يواجهها في الحياة اليومية فإن ذلك لا ينفي وجود عجز في ميادين معينة، ويفسح المجال لموضوع قريب هو "الموهبة".

ما يمكن قوله هو صعوبة تقديم تعريف شامل وصارم للأطفال "المتفوقين ذهنيا" أو إقامة ملمح نموذجي لهم نظرا لتداخل الخصائص النفسية، الاجتماعية، الجسمية، والعقلية وعدم وضوحها بشكل تام، ولا يمكن أن توجد كلها في أفراد محددين يفوزون بقلب التفوق أو القدرة الخارقة.

وبالتالي فإن تشخيص الأطفال "المتفوقين ذهنيا" عملية معقدة تنطوي على الكثير من الإجراءات وتتطلب استخدام أكثر من أداة من أدوات القياس والتشخيص، ويعود السبب في تعقد هذه العملية إلى تعدد مكونات أو أبعاد هذا المفهوم، والتي أشير إليها في التعريف السابق، وتتضمن هذه الأبعاد القدرة العقلية، والقدرة الإبداعية، والقدرة التحصيلية،

والمهارات والمواهب الخاصة، والسمات الشخصية والعقلية، ومن هنا كان من الضروري الاهتمام بقياس كل بعد من هذه الأبعاد.

### 3- الأولياء و المعلم :

تكشف بعض الدراسات (Howard Gardner, 1996, P 68.) اليوم أن حوالي 40% من الأطفال المتفوقين ذهنيا يعانون من الفشل المدرسي, ليس إلا لعدم تلاؤم البيئة المدرسية مع خصوصياتهم العقلية والنفسية، حيث أن الطفل المتفوق ذهنيا يهتم بأمر مغايرة عن تلك التي يهتم بها الأطفال في سنه كما أنه سريع الإدراك يطلب دائما المزيد وسرعان ما يشعر بالقلق جراء رتابة الوتيرة التربوية التي تمتاز بها المدرسة. كما تؤكد تلك الدراسات على ضرورة معاينة هؤلاء الأطفال قبل 8 سنوات ورعايتهم وإلا فهم يتجهون إلى الضياع.

تتم صيرورة بناء الفرد وفق جدلية مستمرة بين الموروث والمكتسب، بين الاستعدادات، والبيئة التي تساعد على تفجير المهارات وتنميتها شرط أن تتوفر الأطر المناسبة.

المدرسة هي البيئة الاجتماعية التي يمضي فيها الأطفال جزء هام من حياتهم إلى جانب الأسرة ما يجعلها قادرة على أن تقدم الكثير في مجال اكتشاف التفوق الذهني ومساعدة التلاميذ على التعامل مع الخصوصيات التي يتميزون بها ومرافقتهم طوال مشوارهم التكويني من خلال بيداغوجية مناسبة تقيهم الاضطرابات التي تتربص بهم في السنوات المقبلة.

حيث أن كتبها لا يتيح الفرصة للتعريف بها وإلى الوعي بها، وبالتالي عدم الكشف عنها، الامر الذي يؤدي الى إهمالها.

ولعل من الأسباب التي لا تساعد المدرسة الجزائرية اليوم على الاهتمام بهذه الفئة من التلاميذ:

-اكتظاظ الأقسام بالتلاميذ مما يصعب على المدرس مهما كانت مهارته، الاقتراب من كل تلميذ بشكل فعال، واكتشاف قدراته لاسيما في بداية مشواره التعليمي.

-تصنيف التلميذ الناجح من خلال مستواه في المواد المدرسية و"التحصيل المدرسي" وحده، ناهيك عن بيداغوجية التقييم المتبعة "الامتحانات الدورية"، علما أن التفوق ليس محدود بمواد التدريس فقط.

- المفارقة بين المنهاج كما جاء في إصلاحات 2004 والمنهاج كما هو مستخدم في الممارسة التربوية اليومية يؤدي بالمتفوق أحياناً إلى النفور والملل من الحياة الدراسية، لأنها لا تراعي وتيرته التعليمية، ولا تشبع رغباته وفضوله، إلى جانب ضعف التعليم الذاتي (القائم على المجهود الشخصي).

- ليس من أولويات البرنامج المدرسي اكتشاف التفوق وتنميته.

- عدم وجود تكوين للمعلم في هذا المجال، ما يجعله يواجه صعوبات، لاسيما والطفل المتفوق على درجة عالية من الفضول والمخيلة، سريع الإلمام بموضوع الدرس، يكون أحياناً على وجه السرعة أكثر ثقافة من المعلم.

- عدم مرونة المناهج وتشتت مواضيعها، الأمر الذي لا يتوافق وشخصية التلميذ المتفوق ذهنياً.

رغم تشكل جمعيات أولياء التلاميذ قصد تنظيم العمل مع المدرسة، إلا أن طريقة عمل الإدارة المدرسية كثير ما تدفع بالأولياء إلى عدم حضور الاجتماعات، وعدم المشاركة في النشاط المدرسي (جدول التوقيت، توزيع الدروس، تنظيم الدعم، برمجة وتمويل النشاطات التربوية والترفيهية....)

كما أن الكثير من جمعيات الأولياء، تضم معلمين وتضعهم على رأسها انطلاقاً من فكرة أنهم أصحاب الخبرة بقضايا التعليم وصعوبات التعلم مقارنة بالأولياء ولكن على العكس من ذلك يتيح هذا للمعلمين الفرصة لإعادة إنتاج إيديولوجية المدرسة في معاملاتهم للأولياء وفي علاجهم لقضايا التلميذ (تبعية الأسرة للمدرسة بدلاً من مشاركتها).

ما يؤدي في الكثير من الأحيان إلى دخول الأولياء في صراع مع المدرسة وإلغاء العضوية في مجلس الأولياء لأن المدرسة لا يسعها أن تنصت للقضايا المطروحة بشكل فعلي، وأحياناً لما يزداد الضغط عليها نلاحظها لا تجد سبيلاً لمواجهة خارج منطقتها فتقوم بتوجيه أولئك التلاميذ إلى الأقسام العليا، أما الأولياء ممن لديهم الإمكانيات فيتجهون إلى المدارس الخاصة ولكنهم سرعان ما يصطدمون بالحاجز النفسي البيداغوجي الذي يتطلب الخبرة البيداغوجية والتكوين المتخصص في هذا المجال.

وقد لاحظنا في الآونة الأخيرة اتجاه بعض الأولياء إلى تسجيل أبنائهم في التعليم بالمراسلة كمبادرة لتفادي أساليب الإقصاء والعنف النفسي الممارس على الطفل المتفوق في بعض المدارس.

#### 4-الاختلاف و الآخر؟

قبل الإجابة على هذا السؤال يستوجب أو لا تعريف الغير، هل هم الأغلبية الديموغرافية؟ وفي هذه الحالة هل هذا الغير متجانس في مكوناته وتركيباته بشكل يجعله وحدة كلية تدخل تحت اسم الآخر؟ ماذا إذن عن الفوارق التي تقرب بين البعض وتبعد في نفس الوقت عن البعض الآخر والتي تتشكل بموجبها فئات المجتمع وشرائحه؟ ما هي حدود التباين وما هو مقياس الغير؟ وما هي الخصائص التي تحدد هذا الكل الذي تنصهر فيه تلك الفروق؟

يتطلب تحديد الفئات الاجتماعية معرفة خصائص الوحدات التي تندرج ضمنها، ثم استقراء ما يجتمع منها قبل ما يختلف وهنا يقع مفترق الطرق، فهل ما يجمع ويربط أوسع مما يفرق ويباعد؟ هل الاختلاف من مكونات الآخر وأن التقاطع لا يلغيه؟ تبقى الإجابة تاريخية تتجاوز مداها السابق وتتبع من ثقافة المجتمع وتطلعات شرائحه المختلفة.

من بين الصعوبات التي تظهر عند الطفل "المتفوق ذهنيا" تلك التي يسميها "شارل تيراسيه" (Charle Terrassier) بمتلازمة اللا تزامن الداخلية والخارجية

(Syndrome de désynchronie).

أ- بالنسبة لمتلازمة أعراض اللا تزامن الداخلية:

هي عبارة عن التباين بين مستوى نمو سن الطفل العقلي وسنه العاطفي والذي تترتب عنه اضطرابات نفسية كالقلق الحاد و الأمراض العصبية والنرجسة والوسواس ....الخ.

من بين هذه الاضطرابات عدم التناسق بين الكلمة والأداء بالنسبة للفكرة حيث يجد الطفل صعوبات للتعبير عن الأفكار التي تتشكل عنده بوتيرة سريعة تتجاوز قدراته التعبيرية أو الكتابية، ما ينتج عنه حالات من اضطرابات النطق. كما يواجه الطفل "المتفوق ذهنيا" حالات من الاختلال بين ما يشعر به وما يبدو عليه خارجيا.

هذه الصعوبة في التعبير عن الأحاسيس والمشاعر بالإضافة إلى الحساسية العالية التي يتميز بها هؤلاء الأطفال إزاء الآخرين تخلق عندهم صعوبات في الاندماج مع المجموعة، في الروضة، المدرسة، الكتاب، النادي، ساحة العمارة.

ويرى الأطفال الآخرين أن هذا الطفل متميز عنهم ويصعب عليهم توقع أفعاله وفهم ما يريد، فتزيده مواقفهم حدة في الشعور بالعزلة وبعدم فهم الغير له بل وأحيانا بظلمهم له لأنه من وجهة نظره هو يريد دائما مساعدتهم ولكنه لا يجد المقابل لذلك، فلا أحد يفهمه.

تتضمن متلازمة أعراض اللا تزامن الداخلية ثلاثة مظاهر متباينة:

- **اللا تزامن بين الذكاء والحركية** : بمعنى أن نمو المنظومة الحركية عند الطفل "المتفوق ذهنيا" لا تكون بنفس مستوى نموه العقلي ما يجعله مثلا متفوق في قدراته الإدراكية ولكنه على خلاف من ذلك يجد صعوبات في الكتابة أو في النشاطات الرياضية
- **اللا تزامن بين الذكاء والعاطفة**: رغم تمايز الطفل "المتفوق ذهنيا" من حيث الإمكانيات الذهنية وما يتيح له ذلك من قدرات إدراكية وتعلمت إلا أنه من الناحية العاطفية يتم نضجه بوتيرة عادية مساوية لعمره وهو ما يفسر مظاهر القلق والخوف عنده، لذلك غالبا ما نجد هؤلاء الأطفال يلجئون من أجل التغلب على ذلك إلى طقوس معينة أو إلى الابتذال.
- **اللا تزامن بين قطاعات النمو العقلي**: كمثلا الفروق التي نلاحظها بين نتائج اختبارات الذكاء واختبارات الأداء، حيث نجد من جهة تفوق في التفكير ومن جهة أخرى نجد عمر الاكتساب اللفظي أقل تطورا..

**ب-متلازمة أعراض اللا تزامن الخارجي (الاجتماعي و المدرسي) :**

في الكثير من الحالات يعيش الطفل "المتفوق ذهنيا" مفارقة وتباين مع البرنامج المدرسي، لان سرعة فهمه غالبا ما تجعله يشعر بالقلق والملل حين ينهمك المعلم في شرح الدرس وتكراره للتلاميذ الذين لم يستوعبوه، الوضع الذي تترتب عنه مشاكل من جهة، مع المعلم الذي يلح عليه بالتركيز والانتباه ومع باقي التلاميذ الذين يقلون عنه سرعة في الفهم أو الإجابة السليمة للمسألة المطروحة من جهة أخرى.

وهو حين يفعل ذلك إنما يعبر عن سيكولوجيته ويريد من غيره أن يكونوا مثله، فهو لا يفهم كيف أنهم لا يرون ما يراه ولا يستطيعون فهم المواضيع المدروسة في القسم رغم بساطتها ووضوحها.

سرعة الفهم هذه تجعلهم أقل بذلا للجهد من زملائهم فيما يتعلق بالدراسة والاكتساب ولا يتعلمون تقييم مستواهم الفعلي وهو ما من شأنه أن يخلق لهم صعوبات في مراحل التعليم المقبلة.

لا تسمح المدرسة عندنا اليوم باكتشاف وتأطير قدرات هؤلاء الأطفال، ليس ذلك إلا لسبب بسيط وهو كون التعلم في المراحل الأساسية يهدف بشكل واسع إلى تعويد التلاميذ على ما يسمى بالمهارات القاعدية التي يحتاجون إليها لبناء الكفاءات المستقبلية، بينما الأطفال "المتفوقين ذهنيا" بحكم إمكاناتهم يستوعبون بسرعة ولا يتحملون الإطالة والدوران في نفس الدرس.

لهذا الوضع عواقب على مستقبل الطفل الذي سيجد قدراته على الاستيعاب تتراجع في الأقسام اللاحقة التي يستدعي التعلم فيها إدماج تلك المكتسبات القاعدية التي لم يكن يجتهد من أجل تحقيقها، وهو حينذاك يجد نفسه في وضعية غريبة عنه غالبا ما يرفضها.

يرى الباحث النفساني "كا. يونغ" أنه: "بالسبة للمواد التي يتفوق فيها الطفل يشعر فيها بالملل والقلق ولكن المواد الأخرى التي لا يتفوق فيها تجعله يدرك تأخره وهذا فيه نفع له من الناحية المعنوية" (Jean-Charles Terrassier, 2011, 143 p.).

يشترط ذلك الوعي البيداغوجي عند المعلم والأولياء والعمل بموجب خصوصية هؤلاء الأطفال، كدعوته إلى بذل المجهود من أجل التعلم والتعود على القيام بالواجبات المنزلية، دون الضغط عليه ولا كبت قدراته المتميزة وتفوقه المدرسي.

ويشير "شارل تيراسييه" (Jean charle terrassier) إلى وجود ثلاثة مظاهر من

#### اللاتزامن الاجتماعي :

أ- بالنسبة للمدرسة: يحصل للطفل "المتفوق ذهنيا"، على مر الزمن، بسبب تفوقه صعوبات في التوافق مع المدرسة وهذا يؤثر على كفاءاته التواصلية مع الأتراب ويضعف حوافزه. وبمعنى آخر تؤدي الوتيرة المدرسية إلى عرقلة نمو هذا الطفل وإقصائه.

ب- بالنسبة للأولياء: يحتاج هؤلاء الأطفال أكثر من سواهم إلى استقرار بيئتهم العاطفية، ولكن غالبا ما يجد الآباء أنفسهم أمام طفل يتكلم ويفكر مثل شخص راشد وفي نفس الوقت يحتفظ بمظاهر النمو الجسمي والسيكولوجي العادية الموجودة عند الأطفال في سنه، ما يجعل البعض من الآباء يتعاملون مع أطفالهم وكأنهم راشدون وينسون الأبعاد الأخرى المكونة

لشخصية طفلهم وما يحتاج إليه هذا الأخير من عناية عاطفية وشعور بالحماية والأمان، مما يؤدي إلى حالات من القلق والانطواء عند هؤلاء الأطفال.

ت- بالنسبة للأطفال الآخرين: الإمكانيات الفكرية العالية تجعل الطفل "المتفوق ذهنياً" يعاني في بعض الأحيان من إحباط لأن أصدقائه يتعاملون معه بما دون ذلك.

يشير "تيراسيه" في هذا الصدد إلى أن: اللا تزامن بين العمر الفعلي للطفل ومره العقلي يضع الطفل "المتفوق ذهنياً" أمام وضعين:

إما أن يكون أصدقاء لهم مستوى ذهني متقارب ولكنهم يفوتونه سناً وإما أصدقاء من نفس العمر ولكنهم متخلفون عنه ذهنياً وفي كلتا الحالتين يشكل ذلك مشكلة توافقية.

## 5- عناية المجتمع:

يحتاج الطفل إلى تعلم المهارات الاجتماعية (لغة، قيم، أدوار، تواصل..).

التي تتيح له إمكانية تفهم غيره تشكيل علاقات معه والقيام بأفعال يقبلها المجتمع وتجعله يندمج فيه وتفتح أمامه المجال لتبادل المعاني والأدوار.

إذا كانت المدرسة الجزائرية اليوم بحكم فلسفتها ونوعية فاعليها وشروطها الموضوعية غير مؤهلة للاعتناء بالأطفال المتفوقين ذهنياً وتوجيههم، فذلك لا يرفع عنها المسؤولية من حيث إسهامها بطريقة أو بأخرى في هدر طاقة اجتماعية حيوية وخلق فئة من المهمشين.

وليس الأمر محصوراً في المدرسة بل يمتد إلى المؤسسة التربوية برمتها التي تقع على عاتقها مهمة التنشئة الاجتماعية، كالأسرة والنادي والمسجد وجماعة الرفاق والإعلام الجماهيري وغيرها.

كيف تحدد الطفل المتفوق ذهنياً، ما هي خصوصياته واحتياجاته، كيف تتعامل معه، هل يحضاً بوجود على المستويين الخاص والعمومي، ما هو موقعه في التشريع، ما هي حقوقه وأساليب رعايتها؟ ما هي المؤسسات التربوية الكفيلة بتأطيره؟

صعوبات التوافق والاندماج الاجتماعي (التسرب، الرسوب، العزلة، العنف) التي تلاحق الطفل المتفوق ذهنياً اليوم عبر مراحل تفاعله ضمن الأطر الاجتماعية المختلفة، تهدد مستقبل حياته النفسية والاجتماعية.

عدم وجود بنىات تربوية متخصصة في الطفولة المتفوقة تنظر إليها وتتعامل معها كموضوع متميز يختلف عن فئات الإعاقة، ولا دراسات علمية تتناول الموضوع من مختلف زواياه و تقدم اقتراحات التكفل، ولا برامج تكوين أو بحث تعمل في هذا الاتجاه، إنما يزيد الوضع تعقيدا ويهدد مستقبل هذه الفئة الاجتماعية.

تكشف الإحصائيات أن عطاء الكثير من التلاميذ المتفوقين يكون أقل بكثير من قدراتهم العقلية، الأمر الذي يعبر عن تلاشي الاعتقاد بقدرة الطفل المتفوق ذهنيا على أن يشق طريقه بنفسه.

حيث جاء في تقرير ليموف (lymof) سنة 1975 أن أكثر من 30% من التلاميذ المتسربين هم من الذين لم يكملوا دراستهم الثانوية، وتزيد نسبة ذكائهم على 135 (Jean-Charles Terrassier, Philippe Gouillou, 2011, p 44).

وأن أغلب هؤلاء الأطفال لا يملكون القدرة على إيجاد طريقهم بأنفسهم، فهم يحتاجون إلى مساعدة المختصين لكي يبدعوا ويظهروا قدراتهم، وهذه المساعدة لا تقتصر على تشجيعهم في دراستهم بل تستوجب الكثير من التفهم والمرافقة العاطفية والتأييد التام والتشجيع، كما كشفت هذه الدراسة أن 20% من هؤلاء الأطفال لديهم مشاكل نفسية وانفعالية.

وفي إحدى الدراسات التي أجراها المختص النفسي "فضيل لعجل" بمركز إعادة الإدماج ببئر خادم-الجزائر- حول القدرات العقلية التي يتمتع بها عدد من الأحداث المنحرفين الموجودين هناك، توصل إلى وجود قدرات ذهنية فوق عادية يتمتع بها بعض هؤلاء الأحداث والذين أتوا كلهم من أوساط أسرية تعاني من التفكك والتخلي عن أبنائها .

واستخلص الباحث من دراسته: "أن المجتمع لا يوفر لهؤلاء الأحداث الفرص ولا الوسائل التي تساعد على تحقيق التغيير الذي يطمحون إليه ما يجعلهم في غياب الرعاية الأسرية والمدرسية اللازمة ينجرّفون إلى الانحراف. وتجدهم يوظفون هذه القدرات في الجريمة لاسيما إذا وجدوا فيها ما يريدونه، كالاقراراف بتمايزهم والمال والحماية من قبل العصابات التي تستغل مواهبهم..". (جيمس ت. ويب وآخرون، 2010، ص.16)

## 6- المساعدة على فهم الذات والتواصل مع المحيط :

من الاساليب الإجرائية التي يمكن للآباء والمعلمين الشروع فيها للحد من نزيف هذا المورد البشري الحيوي نقترح مايلي:

مساعدة الطفل على التكيف مع المجموعة الاجتماعية التي يتفاعل معها، يعني مساعدته على فهم نفسه والآخرين في نفس الوقت، من خلال معرفة الجوانب التي يختلف فيها عنهم و لماذا يتعامل الغير معه بهذه الطريقة، دون أن يكون القصد من ذلك هو تغييره ولكن منحه وسيلة للفهم والنظر من مستويين بدلا من مستوى واحد (تعليمه المهارات الاجتماعية التواصلية).

يبني الطفل كفاءاته الاجتماعية من تفاعله الاجتماعي مع الغير داخل الأسرة وخارجها، وهي تتكون من مهارات عدة متداخلة فيما بينها: معرفية، عاطفية، اجتماعية وحركية.

و يصعب تحديدها من الناحية الاستمولوجية بسبب ارتباطها بقيم المجتمع وثقافته، حيث هي كل ما يقدره هذا الأخير من طرق للفعل والتفكير والشعور. أما إذا حاولنا تقدير المهارة الاجتماعية من منظور إجرائي فيمكن الرجوع إلى أعمال "مورينو" موقع الفرد داخل الجماعة.

بمعنى مستوى أو نوعية العلاقة التي ينسجها الطفل مع المجموعة الاجتماعية الموجودة فيها (الأسرة، جماعة الحي، تلاميذ القسم، أصدقاء النادي...).

الوضعية السوسيو مترية (+)	الوضعية السوسيو مترية (-)
-المبادرة في نسج العلاقات مع الغير والحفاظ عليها	-الإقصاء من طرف المجموعة
-القدرة على حل النزاعات مع الغير	-العزلة (لا يشارك المجموعة)
-التجاوب مع توقعات المجموعة (أداء الدور في اللعبة)	-العنف في مواجهة المشكل
- الاهتمام برأي الآخرين	-عرقلة توازن المجموعة (إيقاف اللعب, عدم أداء الأدوار, عدم احترام القواعد)
	-عدم الاهتمام برأي الآخرين

بالنسبة للطفل "المتفوق ذهنيا" هو حالة متميزة، لا تغيب عنده مفاهيم التعاون ولا هو يهتم بمصلحته المباشرة دون الاكتراث بالغير، ولكن خصوصياته الشخصية تجعل الآخرين يبتعدون عنه وذلك يولد عنده رد فعل يتمثل في الاعتزال والانطواء وفي بعض الحالات استخدام العنف لفرض الرأي، ناهيك عن الحالات العصبية الأخرى وهو في صيرورة النمو..

لا يمنع هذا من تعليمه المهارات الاجتماعية التي تمكنه من تحقيق انسجام أكبر مع المجموعات الاجتماعية التي يتفاعل معها، نظرا لما في ذلك من وقاية له من اضطرابات المراهقة التي تترىص به مستقبلا أو تلك التي تظهر في سن الرشد. حيث تكشف العديد من الدراسات في هذا الموضوع أن ضعف الكفاءات الاجتماعية عند الطفل مرجعها إلى نقص المهارات الاجتماعية عنده وجهله لطرق الفعل والأداء المقبولة اجتماعيا. فهو مثلا، لا يعرف ما ينتظر منه في المواقف والأدوار المختلفة (المشاركة في النشاط، تقبل الدور، التعاون، احترام النظام....)، يخلق لديه ذلك صعوبة في التواصل مع الغير، وفي إيجاد البدائل والسبل الأخرى التي توصله إلى المبتغى، بل نجده ينتهج طريقا واحدا وبمجرد ما يفشل فيه ينقلب على نفسه بالانطواء أو على غيره بالعنف.

كذلك فيما يتعلق بالأهداف التي يبحث عنها خلال التفاعل الاجتماعي يغلب عليها الطابع النفسي أكثر من التواصل، حيث تقوم أغلبها على التخوف من سوء الأداء أو عدم تفهم الغير، على حساب علاقات الصداقة واحترام النظام.

أما عناية الآباء فيمكن أن تتم بمرافقتهم لطفلهم في اكتشاف الحياة، وتنمية اهتمامه بالعلوم، وتعليمه النشاطات الفنية-التعبيرية وبعض الحرف اليدوية كالنجارة وتسجيله في نادي للشطرنج، ومراعاة التغذية المستمرة لعقله من غير التفريط في الجوانب الأخرى لشخصيته.

الطفل الذي لديه اهتمامات بنشاط ذهني معين يميل إلى تغذيته باستمرار والآباء المنبهرون أمام ما يحققه طفله من أداء يقدمون له المزيد في هذا الاتجاه، ما يؤدي إلى الإفراط في تغذية النشاط الذهني على حساب الأجزاء الحركية، الجسدية والعاطفية والاجتماعية من شخصيته.

كذلك العناية بترقية تقديره لذاته، وتنميين أداءه الموفق، والحذر من عدم تضخيم ما يفشل فيه، وإن كان الآباء غالبا ما يقلقون من ذلك خاصة إذا لاحظوا بأن الطفل استمر على ذلك.

وتبقى الوقاية هي أفضل سبيل لحماية الطفل وتربيته بشكل يحقق له توازنه الداخلي والخارجي بمعنى تربيته وفقا لتوجيهات المختصين على نحو يمنعه من الاضطرابات الشخصية أو الحركية مستقبلا.

فلا يعمد الآباء مثلا، إلى وضع أبنائهم في أقسام تركز على تنمية الجانب العقلي فيه فقط بمحض إرادتهم وبناءا على توجيه من ليس له علم بالموضوع لان ذلك من شأنه أن يعمق الاختلال عند الطفل ويخلق لديه اختلال في النمو.

ليس الأمر يتعلق بجعل الطفل تلميذ ممتاز بقدر ما هو راجع إلى تنشئته ليصبح راشدا متوازنا بإمكانه الاندماج في المجتمع والعيش بشكل متوازن.

يمكن للأباء الاتصال بإدارة المدرسة ومع المعلمين الذين يستطيعون إلى حد معين تفهم خصوصيات الطفل "المتفوق ذهنيا" لا سيما إذا دعموا موقفهم باستشارة أخصائي يكون هذا الاتصال إلزامي ومستعجل إذا ما لاحظ الأولياء بروز الاضطرابات الأولى عند الطفل.

ذلك سيجعل الآباء لا يؤنبون طفلهم ويحملونه مسئولية تتجاوزه، ويحاولون إقناع المعلمين بان تصرفه ليس مقصود ليس الحل بالضرورة يكمن في جعل الطفل المتفوق ذهنيا يقفز إلى الأقسام المتقدمة عن عمره كما هو معمول به في المدارس الجزائرية لان ذلك إن كان قد يحل مشكلته المعرفية فهو في الوقت نفسه يفرط في رعاية حاجاته الإنمائية الأخرى التي لا يمكن إشباعها وترقيتها إلا مع أترابه.

كما لا يكمن الحل في عزل المتفوقون ذهنيا عن باقي الأطفال ضمن مدارس أو مراكز متخصصة، لان ذلك سيعوده على العزلة واللا اجتماعية ويجعل غيره من الأطفال العاديين ينظرون إليه كشيء غريب عنهم، بل يفضل أن يضل هؤلاء في تواصل وتفاعل مع باقي الأطفال بما يتيح ذلك من تبادل المهارات واندماج في المجتمع..

#### خاتمة:

تبقى فئة الأطفال "المتفوقين ذهنيا" عندنا تعاني صعوبات التوافق مع المحيط بسبب نقص الوعي بشؤونها وبخصوصياتها إلى جانب عدم توفر الإطارات الكفيلة بمرافقتها والأخذ بيدها ليزداد عطاؤها وتحقق نموا متوازنا.

لا يعفي هذا الوضع الجامعات ومراكز البحث من المسؤولية كفاعلين في المجتمع كذلك هو الأمر بالنسبة للأولياء والمعلمين والمجتمع المدني بشكل عام.

يبقى الاكتشاف المبكر لهذه القدرات شرط أساسي لحمايتها من الاضطرابات النفسية ومن وقوعها في الانحراف وهو شرط أساسي أيضا لاستغلالها على أحسن وجه ليستفيدوا من أنفسهم وتستفيد منهم الأمة والإنسانية جمعاء.

- (1) احمد عفت قرشم، مهارات التدريس لمعلمي ذوي الاحتياجات الخاصة، موقع مكتبة المدينة. <http://www.madinahnet.com>.
- (2) محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري جمال الدين أبو الفضل، لسان العرب، دار صادر، بيروت، 2011.
- (3) قاموس مصطلحات الطفولة والشباب - Childhood & Youth Glossary الطبعة الاختبارية 2005 إعداد ورشة الموارد العربية، بيروت، لبنان [arcleb@mawared.org](mailto:arcleb@mawared.org), [www.mawared.org](http://www.mawared.org).
- (4) جروان فتحي عبد الرحمان، أساليب الكشف عن الموهوبين ورعايتهم، دار الفكر 2002 ، للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1.
- (5) التويجري محمد بن عبد المحسن، منصور عبد المجيد سيد أحمد، الموهوبون (آفات الرعاية والتأهيل بين الواقعين العربي والعالمي)، مكتبة العبيكان، الرياض، السعودية، ط1.
- (6) الزغبي احمد محمد، التربية الخاصة للموهوبين والمعوقين وسبل رعايتهم، دار الفكر في الطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط1.
- (7) القريوتي يوسف وجرار جلال: دليل الصورة المعرفة في مقياس ويكسلر لتقدير السلوك، مكتبة التربية العربي لدول الخليج، الرياض، السعودية، 1987.
- (8) Laurence Vaivre-Douret, « Les caractéristiques précoces des enfants à hautes potentialités », Journal français de psychiatrie 2003/1 (no18),.
- (9)Renzulli, J.S. Schools for talent development: A practical plan for total school improvement. Mansfield Center, CT: Creative Learning Press. USA.1994.
- (10)Julian de Ajuriaguerra, Manuel de psychiatrie de l'enfant, Masson, Paris, 1959
- (11)SI MOUSSIA ET COLL, ELEVES CONTRE ENFANT, ENAG-INRE, ALGER 2002
- (12) Carl Gustav Jung, « L'enfant doué » in Psychologie et éducation, trad. Yves Le Lay, éd. Buchet Chastel, 1995.
- (13)Monique Binda et autres, In La santé a l'école, Edit Dunod 2013.

- (14) Howard Gardner, L'intelligence multiple, Retz, Paris, 1996.
- (15) Tessa Ahmed, Revue, L'école et la vie, Algérie 1996.
- (16) Jean-Charles Terrassier, Les Enfants surdoués ou la Précocité embarrassante, ESF, 9<sup>e</sup> édition, Paris, oct. 2011.
- (17) Carl Gustav Jung, trad. : Yves Le Lay, Psychologie et éducation, 1<sup>er</sup> édition 1962, 2<sup>em</sup>, édition, Buchet Chastel 1995.
- (18) Jean-Charles Terrassier, Philippe Guillou, Guide pratique de l'enfant surdoué, ESF, 9<sup>e</sup> édition, 2011.
- (19) جيمس ت. ويب وآخرون، دليل الوالدين في تربية الأطفال الموهوبين، العبيكان للنشر.  
المملكة العربية السعودية – الرياض 2010.
- (20) [www.shababdz.com/vb/shababdz73336/Fodhil Ladjel /les aptitudes des mineurs au sein du Centre de réinsertion de rééducation de ...](http://www.shababdz.com/vb/shababdz73336/Fodhil%20Ladjel%20/les%20aptitudes%20des%20mineurs%20au%20sein%20du%20Centre%20de%20réinsertion%20de%20rééducation%20de%20...)
- (21) Jacob Levy Moreno, Fondements de la sociométrie. Trad. frise. Who shall survive. Paris, PUF, 1934.